دور القرآن الكريم فى تدعيم مركز الشباب

بقلم د. أبو زيد محمد أبو زيد جعفر
مدرس التفسير وعلوم القرآن بالكلية

القرآن الكريم فى كل إتجاهاته يحشد كل أسلحته وطاقاته ليعزز مركز المسلمين ويدفعهم إلى النصر، وفى الوقت نفسه يحطم مركز أعداء الإسلام ويدفع بهم إلى الهزيمة والخسران والدمار فالقرآن أقوى سلاح اعتصم به المسلمون فجمعهم حول راية واحدة، وحمى أمتهم من الذوبان فى الأمم الطاغية والمستعمرة، قال تعالى: «ونتزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا(١)».

يخبر المولى جلت قدرته عن كتابه الذى أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد إنه شفاء ورحمة للمؤمنين أى يذهب ما فى القلوب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزيغ وميل فالقرآن يشفى من ذلك كله(٢) وهو أيضاً رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وحلب الخير والرغبة فيه وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه فإنه يكون شفاء فى حقه ورحمة. وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعداً وكفرا كقوله تعالى: «قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء، والذين

---

(١) سورة الإسراء الآية ٨٢

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٣ صـ ٥٩

لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد »(١) .

وقال تعالى : « وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا ، فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون، وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون .

والآيات فى ذلك كثيرة ، فالقرآن يهدف إلى شفاء نفوس المؤمنين لا من حيث العقيدة فقط لأنهم مؤمنون ، وإنما من نواح أخرى منها ما ألحقه بها إيذاء الأعداء لهم قال تعالى : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين(٢)» أى كل الذى تحتاج إليه يامحمد من أخبار الرسل وما جرى مع قومهم نقصه عليك ونخبرك به لنقوى به قلبك لتصبر على أذى قومك وتتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك ، وجاءك فى هذه السورة الأنباء الكثيرة عن الأنبياء ومواعظهم التى ترشدهم إلى الأعمال الصالحة وتذكرهم بسنن الله واوامره ونواهيه(٢) .

وأعداء الإسلام قد اتخذوا من السخرية سلاحا رهيبا يريدون أن يحطموا به عزم المسلمين، ولكن القرآن يتصدى لهم فيقول « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم » .

روى أنه ﷺ حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف درهم فأقرضت ربى أربعة وأمسكت لعيالى أربعة فقال رسول الله ﷺ بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت

---

(١) الآية ٤٤ من سورة فصلت

(٢،٣) فى ظلال القرآن سيد قطب المجلد الرابع ص١٩٣٤ دار الشروق

فبارك الله له حتى صولحت إحدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهم وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصارى بصاع تمر فقال بت ليلتى أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فأمره رسول الله ﷺ أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبى عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت « والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم(١) » .

ولنتأمل فى عناية الله ورعايته حينما حلف أبو جهل لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه بحجر، فلما رآه ذهب فرفع حجرا ليرميه ، فلما أومأ عليه رجعت يده إلى عنقه ، والتصق الحجر بيده ، بمنزلة من غلت يده إلى عنقه، فلما عاد إلى أصحابه أخبرهم بما رأى ، فقال الرجل الثانى وهو الوليد بن المغيرة: أنا أرضخ رأسه . فأتاه وهو يصلى على حالته ليرميه بالحجر فأعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه ، فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقال : والله ما رأيته ولقد سمعت صوته . فقال الثالث : والله لأشدخن أنا رأسه. ثم أخذ الحجر وانطلق فرجع القهقرى ينكص على عقبيه حتى خر على قفاه مغشيا عليه . فقيل له : ماشأنك؟ قال شأنى عظيم !! رأيت الرجل فلما دنوت منه ، وإذا فحل يخطر بذنبه ما رأيت فحلا قط أعظم منه حال بينى وبينه ، فواللات والعزى لو دنوت منه لأكلنى . فأنزل الله تعالى : « إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون(٢) » .

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضى البيضاوى حـ ١٠ ص ٢٢٩ وفتح البارى لابن حجر حـ ١٧ ص ٢١١

(٢) الآية ٨ من سورة ياسين

وفى الليل الذى تآمروا فيه على قتل محمد عليه الصلاة والسلام، ووقفوا ينتظرون خروجه حتى يضربوه ضربة رجل واحد، ولكنه خرج وهو يملك أقوى سلاح ألا وهو القرآن الكريم، وسورة ياسين رتلها إلى أن وصل إلى قوله جل سلطانه وعز شأنه: « وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون »، ورمى القوم بحفنة من التراب وقال شاهت الوجوه، أى قبحت تلك التى جاءت لتقتل أعظم مخلوق، وأنى لهم ذلك والحارس هو الله.

سهرت أعين ونامت عيون
فى شئون تكون أو لا تكون
إن ربا كفاك بالأمس ما كان
سيكفيك فى غد ما يكون

ونام القوم ولم يشعروا بخروج الرسول محمد ﷺ الذى وصل إلى دار أبى بكر الصديق فى هدوء وسكينة واطمئنان، وطلعت الشمس وضربت وجوه القوم بسياطها الحامية، وإذا أحد رعاة الغنم يوقظ القوم ما لكم تنامون هكذا؟ قالوا ننتظر محمدا قال: وقد خرج عليكم فما بقى منكم من رجل إلا وضع على رأسه ترابا ثم ذهب لحاجته، فجعل كل رجل منهم ينفض ما على رأسه من التراب(١).

ولم يصدقوا قوله، فإنهم لم يشعروا بباب يفتح ولا بحركة تدور، واقتحموا الباب وظنوا أنهم قادرون على تغيير المقادير.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير حـ٣ ص ٥٦٥ مكتبة التراث الإسلامى

«يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (١)» .

لقد جاء فى بعض الروايات أن الله تعالى جاء بجبريل وميكائيل وقال لهما : لقد آخيت بين حبيبى محمد وعلى بن أبى طالب ، فآثر على حياة حبيبى محمد على نفسه فاهبطا إلى الأرض واحرساه ، فكان جبريل يبتسم عجبا ويقول : هنيأ لك يا ابن أبى طالب : إن الله يباهى بك الملائكة الكرام فى السماء .

شرف عظيم : لأنه زوج فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، ووالد الحسن والحسين سيدى شباب أهل الجنة ، وقال ذات مرة :

أى يومى من الموت أفـــر ... يوم لا يقدر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبـــه ... ومن المقدور لا ينجو الحذر

ويرحم الله الإمام الشافعى الذى قال :

أنا إن عشت لست أعدم قوتا ... وإذا مت لست أعدم قبرا
همتى همـــة الملوك ونفسى ... نفسى حرة ترى المذلة كفرا
وإذا ما قنعت بالقوت عمرى ... فلماذا أخاف زيدا وعمرا

قال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما : «ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتفعت بكلام كتبه إلى على كرم الله وجهه كتب إلى :

---

(١) الآيات ٣٢ ، ٣٣ من سورة التوبة .

أما بعد: فإن المرء يسره إدراك ما لم يكن ليفوته ويسؤوه فوات من لم يكن ليدركه ، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك ، وليكن أسفك على ما فات منها ، وما نلت من أمر دنياك فلا تكن به فرحا ، وما فاتك منها فلا تيأس منه جزعا ، وليكن همك لما بعد الموت .

من هذا نعرف أن العلم كان يتفجر من جوانب على بن أبى طالب .

وبجانب ذلك كان أديبا بليغا قال ذات يوم لولده الحسن رضى الله عنه:

يابنى سل عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار ، وأجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك ، فأحب لغيرك ماتحب لها واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك وارض من الناس ، ما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل ما لا تعلم ولا تقل مالا تحب أن يقال عليك ، واعلم أن حفظ ما فى يديك أقرب إليك من طلب ما فى يد غيرك ولا تأكل من طعام ليس لك فيه حق ، فبئس الطعام الحرام وجد فى الحصول على معاشك ، وإياك والإتكال على المنى فإنها بضائع الموتى .

وهو الذى نام فى فراش الرسول وضحى بنفسه من أجل الأخوة فى الله ونصرة دينه .

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك شتت شمله ليجمعك

وما أصدق ما قاله السيد المعصوم ﷺ للأنصار : « إنكم تقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع » ودخل الكفار ، ففوجئوا بعلى نائم مكان رسول الله ﷺ فرجعوا خائبين مخذولين إنهم لا شأن لهم بعلى .

لقد فاتهم السيد العظيم محمد الذى باتوا يدبرون ويفكرون ليقتلوه ، ولكن الأمر كله لله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ، والذى ينبغى أن يكون واضحا فى كل نفس وعند كل عاقل ، أن أعداء القرآن لا ينظر إليهم على أنهم مجرد أعداء للمسلمين كجماعة أو أمة ، وإنما ينظر إليهم على أنهم أعداء الله ، والله سبحانه ليس بينه وبين أحد نسب أو صلة خاصة ، وإنما الكل عباده ، وهو سبحانه رب الجميع ، ولا يتفاضل عنده جنس على جنس إلا بمقياس واحد ، حدده القرآن الكريم نفسه فى قوله : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم (١) » .

لا كرامه بالنسب ، لتساوى الكل فى البشرية المنتسبة إلى ذكر وأنثى. والامتياز بالشعوب والقبائل إنما يكون لأجل التعارف بالانتساب ، لا للتفاخر ، فإنه من الرذائل ، والكرامة لا تكون إلا بالاجتناب عن الرذائل الذى هو أصل التقوى (٢) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قيل : يارسول الله ، من أكرم الناس؟ قال : أتقاهم : فقالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : فيوسف نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله ؟ قالوا: ليس عن هذا نسألك ، قال: فعن معادن العرب تسألون ؟ خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا (٣) .

وروى مسلم عنه أيضا : قال رسول الله ﷺ : إن الله لا ينظر إلى

---

(١) بعض آية ١٣ من سورة الحجرات .

(٢) تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل المجلد التاسع ج ١٥ ص ١٣٧ .

(٣) فتح البارى لابن حجر ج ١٣ ص ١٣٠ كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلا) ، حديث رقم ٣٣٥٣ .

صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم (١) .

وإذا كان المسلمون الأولون قد بلغوا عند الله منزله لم تبلغها جماعة أو أمة أخرى ، كما يقرر القرآن ذلك فى قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، لأنهم حملوا تلك الشريعة فأحسنوا حملها ، وبلغوها فأحسنوا تبليغها ، وحين نمد البصر مع القرآن الكريم فى نظرته إلى أعدائه الذين هم أعداء المسلمين . نجد أن الإسلام يمتاز عن غيره من الأديان ، فالأديان نزلت موقوتة بزمان معين ، وخوطب بها أقوام محددون . أما الإسلام فوضعه أساسا غير ذلك ، فهو مطلق الزمان والمخاطبين به ، حيث يخاطب كل الأزمنة والعصور ، كما يقول العقاد : « فليس فى التوراة ولا فى الإنجيل أكثر من إشارات عارضة إلى الملحدين الذين ينكرون وجود الله ، لأن أنبياء التوراة والإنجيل كانوا يخاطبون أناسا يؤمنون بإله إسرائيل ، ولا يشكون فى وجوده .

أما القرآن فقد كان يخاطب أقواما ينكرون وأقواما يشركون ، وأقواما يدينون بالتوراة والإنجيل ، ويختلفون فى مذاهب الربوبية والعبادة وكانت دعوته للناس كافة من أبناء العصر الذى نزل فيه ، وأبناء سائر العصور ، ومن أمة العرب وسائر الأمم » (٢) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٢ صـ ١٢١ كتاب البر والصلة تحريم ظلم المسلم وخذله وإحتقاره .

(٢) الله صـ ٢٣٣ ، ٢٣٤ للأستاذ عباس العقاد .

الأعـــداء العرب

والإسلام بحكم البدء الزمنى والجغرافى له ، فقد نبت فى مكة وقضى بها نحو ثلاث عشرة سنة لم يكد يكون له فيها أعداء ظاهرين من غير العرب.

ومع ذلك كانت هذه الفترة أعصب الفترات التى مرت بالمسلمين من حيث أنهم أفراد .

وقد تمثل الشرك فى هذه الفترة فى قريش ومن ولاها ، وقد انقسموا فى التاريخ الإسلامى وفى حديث القرآن عنهم — من حيث العـداوة — ثلاثة أقسام :

١ — جمهور المشركين الذين كانوا فى جملتهم يمثلون الجبهة المضادة للإسلام ، والتى ظلت حتى سيطر الإسلام على شبة الجزيرة تحمل لواء الجبهة المعادية المحاربة للإسلام بكل ما أوتيت من قوة .

٢ — جماعة معينون من المشركين ، سلاحهم السخرية بجانب عداوتهم للإسلام ، وهم الذين حددهم القرآن الكريم فى قوله :

« إنا كفيناك المستهزئين »(١) أى الذين يبالغون فى الاستهزاء بك وفى إيذائك وكانوا خمسة نفر : الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدى بن قيس والأسود بن المطلب والأسود بن يغوث سلط عليهم جبريل حتى قتل كل واحد منهم بآفة وكفى نبيه شرهم »(٢) .

ولقد بين صفة المستهزئين بقوله جلت قدرته : « الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون » .

---

(١) الآية ٩٥ من سورة الحجر .

(٢) تفسير النووى حـ ١ ص٤٤٧ طبعة عيسى البابى الحلبى .

٣ — قادة المشركين أو « أئمة الكفر » كما سماهم القرآن نفسه ، وهؤلاء كانوا يمسكون زمام الجبهة المضادة للإسلام ، حتى أن القرآن ميزهم بأحاديث وسخريات خاصة .

٤ — اليهود جعلهم القرآن فى مقدمة الذين يضمرون للإسلام العداء فهم أشد الناس عداء للإسلام وقد تمركزوا فى يثرب المدينة وما حولها . وكان مركز الإسلام فى مكة بعيداً عنهم ، وما كاد ينتقل إلى المدينة ، حتى بدت منهم كل كوامن الحقد والبغضاء ، فأعلنوا حرباً متنوعة الأساليب على الإسلام ، بعضها ظاهر ، وبعضها خفى ، وبعضها مباشر ، وبعضها غير مباشر ، وكان طبيعياً أن يبادلهم القرآن هذه الحرب .

٥ — النصارى : عداوتهم للإسلام تجىء فى المؤخرة ، لأنهم يتعرضون لاضطهاد أو حقد دينى من قبل اليهود ، فهم يشاركون المسلمين فى هذه النظرة اليهودية .

قال تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون »(١) .

الواقع أن من لا يدينون بالإسلام أعداء له ؛ وإن تفاوتت درجة العداوة كما هو الحال بين اليهود والنصارى فى عداوتهم للمسلمين »(٢) .

ومع ظهور العداء للإسلام ، فلم يعلن المسلمون عليهم حربا ؛ وحتى القرآن الكريم « يبدو دائما من حديثه عن النصارى تفادى اللهجة العنيفة

---

(١) سورة المائدة الآية ٨٢

(٢) انظر تفسير الآية فى الكشاف للزمخشرى حـ ١ ص ٦٣٧

معهم ، والاعتماد على الحجة والمنطق فى ردهم إلى الدين القويم ، وكذلك كان يفعل النبى ﷺ معهم .

ومن ذلك قصة وفد نجران ، وكانوا كما تصفهم الروايات ستين راكبا قدموا على رسول الله وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم وفى الأربعة عشر ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم العاقب أمير القوم .

والسيد ثمما لهم وصاحب حلهم ومجتمعهم . . وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم وحبرهم — دخلوا المسجد — وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة فى مسجد رسول الله فقال النبى دعوهم فصلوا إلى المشرق ، فتكلم السيد والعاقب .

فقال لهما الرسول أسلما ، قالا أسلمنا قبلك ، قال كذبتما يمنعكما من الإسلام أدعاؤكما لله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير ، قالا إن لم يكن ولداً لله فمن أبوه ؟

وخاصموه جميعا فى عيسى فقال لهم النبى : ألستم تعلمون أنه لا يكون ولداً إلا وهو يشبه أباه ؟

قالوا بلى : قال ألستم تعلمون أن ربنا حى لا يموت ، وأن عيسى يأتى عليه الفناء ؟

قالوا بلى ، قال : ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شىء يحفظه ويرزقه ؟ قالوا بلى ؛ قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا ؟

قالوا لا . قال ألستم تعلمون أن الله حى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ؟ قالوا بلى . قال فهل يعلم عيسى عن ذلك إلا ما أعلم .

قالوا لا قال : فإن ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء ، وربنا

لا يأكل ولا يشرب؟ قالوا بلى . قال ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ، ثم غذى كما يغذى الصبي ، ثم كان يطعم ويشرب ويحدث ؟

قالوا بلى . قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟ فسكتوا ، فأنزل الله صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها »(١) .

وحين يتحدث القرآن عن النصارى لا يهاجمهم في خلق أو سلوك كما يفعل مع اليهود ، وإنما يركز حديثه على ناحية العقيدة ، لأنهم تأثروا بالقرآن وصدق الله العظيم .

« وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » .

أي إذا سمعوا القسيسين والرهبان الذين آمنوا منهم ما أنزل إلى محمد — صلى الله تعالى عليه وسلم — وهو القرآن سالت عيونهم بالبكاء لمعرفتهم بصفات محمد ﷺ وبعض الحق الذي هو القرآن .

« روى أن قريشا تشاورت أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثب كل قبيلة على من آمن منهم فآذوهم وعذبوهم ومنع الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بعمه أبي طالب .

فلما رأى رسول الله ﷺ ما أنزل بأصحابه أمرهم بالخروج إلى أرض الحبشة وقال : إن بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده أحد فاخرجوا إليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فخرجا إليها سراً إحدى عشر رجلا وأربع نسوة منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ، والزبير

---

(١) معالم التنزيل للبغوي ٢/٩٢ (هامش تفسير ابن كثير) .

ابن العوام وعبد الله ابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة ومصعب بن عمير وأبى سلمة بن عبد الأسد وزوجته أم سلمة بنت أمية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى وحاطب بن عمرو وسهيل ابن بيضاء فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة بنصف دينار وذلك فى رجب فى السنة الخامسة من مبعث رسول الله ﷺ .

ثم خرج بعدهم جعفر بن أبى طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر إلى أرض الحبشة إثنين وثمانون رجلا سوى النساء والصبيان ، فلما كانت وقعة بدر وقتل الله فيها صناديد الكفار ،

قال كفار قريش إن ثأركم بأرض الحبشة وإسم أصحمة وابعثوا إليه رجلين من ذوى رأيكم لعله يعطيكم من عنده فتقتلونهم بمن قتل منكم ببدر فبعث كفار قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة بهدايا إلى النجاشى وبطارقته ليردهم إليهم فدخلا إليه فقالا له أيها الملك :

إنه قد خرج فينا رجل زعم أنه نبى وهو قد بعث إليك برهط من من أصحابه ليفسدوا عليك قومك فأحببنا أن نخبرك خبرهم وإن قومنا يسألونك أن تردهم إليهم فقال حتى نسألهم فأمر بهم فأحضروا .

فلما أتوا باب النجاشى قالوا يستأذن أولياء الله فقال : ائذنوا لهم فرحبا بأولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين :

أيها الملك ألا ترى أنهم لم يحيوك بتحيتك التى تحيا بها فقال لهم الملك ما منعكم أن تحيونى بتحيتى قالوا إنا حييناك بتحية أهل الجنـــة وتحية الملائـكة .

فقال لهم النجاشى ما يقول صاحبكم فى عيسى وأمه فقال : جعفر

ابن أبي طالب يقول هو عبدالله ورسوله وكلمة الله وروحه ألقاها إلى مريم العذراء»(١).

ويقول في مريم إنها العذراء البتول فأخذ النجاشي عوداً من الأرض وقال: والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هـذه العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيئاً مما أنزل على صاحبكم قالوا نعم قال إقرأوا فقرأ جعفر سورة مريم.

وهناك قسيسون ورهابين وسائر النصارى فعرفوا ماقرأ فانحدرت دموعهم وأخذوا يبكون حتى فرغ جعفر الطيار من القراءة فقال النجاشي لجعفر وأصحابه أذهبوا فأنتم بأرضي آمنون فرجع عمرو ومن معه خائبين وأقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار إلى أن علا أمر رسول الله وقهر أعداءه في سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله إلى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان.

وكانت قد هاجرت إليه مع زوجها ومات عنها فأرسل النجاشي إليها جارية اسمها أبرهة تخبرها بخطبة رسول الله ﷺ فسرت أم حبيبة بذلك وأذنت لخالد بن سعيد أن يزوجها فأنفـذ النجاشي إليها أربعمائة دينار صداقها على يد أبرهة.

وقالت أبرهة قد صدقت بمحمد وآمنت به وحاجتي إليك أن تقرئيه مني السلام قالت نعم وقالت فخرجنا إلى المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر وأقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله ﷺ فدخلت عليه فقرأت عليه السلام من أبرهة جارية الملك فرد الرسول عليها السلام ووافى جعفر

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ج ١ ص ٢٠٧ دار التراث العربي.

رسول الله ﷺ وهو بخيبر ومع جعفر سبعون رجلا عليهم ثياب الصوف منهم .

« إثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية نفر من رهبان الشام بحيرا الراهب وأصحابه أبرهة وأشرف وإدريس وتميم وتمام ودريد وأيمن وكلهم من أصحاب النجاشي فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة ياسين إلى آخرها فبكوا وآمنوا وأسلموا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام(١) .

« يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » آمنا بما سمعنا مما أنزل على رسولك وشهدنا أنه حق فاجعلنا من أمة محمد ﷺ الذين آمنوا فلما لامهم قومهم بالإسلام قالوا تحقيقاً لإيمانهم .

« ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين » من أمة محمد ﷺ « فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين »(٢) .

فعناية الله وهداية القرآن هى المصباح الذى ينير الطريق . ويكشف المؤامرات فالغرب حينما أيقن أن الإسلام بوصفه دينا أقوى مما كان يتصور أو يظن ، بدأ ينوع ويخطط لحرب مدروسة منظمة من جميع وجوهها العسكرية والفكرية والنفسية والاقتصادية ضد الإسلام ، واستمرت هذه الحرب حتى اليوم .

---

(١) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن حـ ١ صـ ٢٢٥٣ طبعة الشعب .

(٢) تفسير النووى حـ ١ صـ ٢١٩

ومن الوسائل النفسية التى حاول الصليبيون بها حرب الإسلام أنهم أثناء الحروب الصليبية دبروا محاولة لسرقة جثمان الرسول ﷺ فقد إنتدبوا شخصين فى صورة حاجين مغربيين استأجرا منزلا مجاوراً لقبر الرسول ، وأخذا يحفران لينتقبا الجدار ويصلا إلى الجثمان الكريم .

ولكن أمرهما إنكشف فى اللحظات الأخيرة بواسطة رؤيا منام أرشد التبي فيها عنهما(١) .

المنافقون :

وإبتلى المسلمون بالمنافقين منذ ظهر الإسلام فى المدينة ، وقد عانى المسلمون منهم عناء قاسياً مرا ، وما زالت سمومهم تثير التشكيك الدينى بين المسلمين لدرجة أنهم كانوا إذا أحسوا أن جهودهم لا تفيد ولا تثمر وهم على دينهم من اليهودية . لجأوا إلى الإسلام خداعا ونفاقا .

« وممن تعوذ بالإسلام ودخل فيه وهو منافق من أحبار يهود بنى قينقاع : سعد بن حنيف وزيد بن اللصيت ونعمان بن أوفى بن عمرو وعثمان ابن أوفى وزيد بن اللصيت الذى قال حين ضلت ناقة النبي: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ؟

فقال النبي حين بلغه . . وإنى والله ما أعلم إلا ما علمنى الله ، وقد دلنى الله عليها فهى فى هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها »(٢) .

فذهب رجال من المسلمين ، فوجدوها حيث قال رسول الله ﷺ .

وكما وصف والحقيقة أن أعداء الإسلام كثيرون وهذه العجالة لا تتسع

---

(١) أنظر القصة فى منزل الوحى محمد حسين هيكل ٥٨٥ — ٥٨٧

(٢) السيرة النبوية لابن هشام تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا حـ ٢ صـ ٣٣٦ دار التراث العربى .

للإلمام بجميع مؤامراتهم سواء كانت دينية أو عسكرية أو إقتصادية أو إجتماعية أوغير ذلك . ولكن كل ماأستطيع أن أقوله : علينا أن نعتصم بالله وأن نخلص القول والعمل حتى ننتصر فى جميع الميادين وصدق الله العظيم حيث يقول : « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم »(١) .

وقوله : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور »(٢) .

وعن الحارث الأعور رضى الله عنه قال : مررت فى المسجد فإذا الناس يخوضون فى الأحاديث فدخلت على على رضى الله عنه فقلت : يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا فى الأحاديث قال : وقد فعلوها ؟ قلت : نعم قال : أما إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ألا إنها ستكون فتنة فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن إبتغى الهدى فى غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : « إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد » من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم خذ إليك يا أعور(٣)

---

(١) الآية ٧ من سورة محمد

(٢) بعض آية ٤٠ — ٤١ من سورة الحج

(٣) التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ﷺ حـ٤ صـ ٧ كتاب فضائل القرآن .

فالقرآن افضل عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه تعالى بعد الفرائض التى أفترضها عليه ، وحكى عن الإمام أحمد رضى الله عنه انه راى ربه فى المنام عدة مرات فقال : والله إن رايته مرة أخرى لأسالنه أى شىء يقرب العبد إلى ربه . فرأى ربه جل شأنه فقال : يا رب بأى شىء يتقرب العبد إليك؟ قال : بتلاوة كلامى أحمد . قال : فهم المعنى أو لم يفهم يارب ؟ قال : فهم المعنى أو لم يفهم . فأتوجه إلى الله أن يرزقنا فهم القرآن الكريم والعمل بآدابه وأحكامه وأن يجعله ربيع قلوبنا وجلاء صدورنا ونور أبصارنا إنه سميع قريب مجيب الدعوات . والسلام عليكم ورحمة الله

بقلم الدكتور

أبو زيد محمد أبو زيد جعفر

مدرس التفسير وعلوم القرآن بالكلية